الثورة

الخميس ٨ ربيع آخر ١٤٢٥هـ الموافق ٢٧ مـــايو ٢٠٠٤م العدد (١٤٤٤٢)

تحقيقات

علاقة الآباء بالأبناء...فجوة أم جفـ

كبار مشغولون وصغار مهووسون

سيبقى الأب والابن في صراع أزلي لإثبات الذات في ظل سيطرة الجهل على الطرفين فالأب يحاول بكل مامنح من قدرة وسلطة إعطاء الابن كل مايرغب، ولكن في الحدود التي يرسمها لنفسه، والابن يحاول اثبات وجوده بعيداً عن عالم والده.. بكل مايحمله من نصائح وإرشادات يتصورها الأب تمنح السعادة الحقيقية للابن.

الآباء يحاولون الإبتعاد والأبناء يبتعدون، ويخلق بينهما بون شاسع يسمح للخلافات وطرح وجهات النظر المختلفة أن تسود حياتهم، فمعظم الآباء يرى أن الإبن عندما يصل الى مرحلة البلوغ وسن المراهقة تكبر لديه الرغبة في الإنفلات والتخلص من قيود الأب. فتصبح همومه وأسراره خاصة به.. أبٌ أمي- لايقرأ ولايكتب- يرى أن السبب في هذه الجفوة قد يكون في أغلب الأحيان من الأب، فمثلاً... محاولته تعويض الحنان والمشاعر التي قد تكون في أغلب الأحيان من الأب، فمثلاً.. محاولته تعويض الحنان و المشاعر التي افتقدها في صغره نحو أبنائه، وإعطائهم ماكان يتمنى أن يُعطاه من قبل والديه... بالإضافة الى الخلافات الأسرية التي ينشأ عنها الطلاق في معظم الأوقات والتي تجعل الأب يبحث عن كيفية تعويض الأبناء الذين يمثلون أمام الأب بصور العصيان المختلفة، وهذا الأب يحاول التأكيد على أهمية زرع الوازع الديني في نفوس الأبناء مما يؤهلهم للتفريق مستقبلاً بين الحلال والحرام.

الابن يرى من جانبه أن الأب يحاول فرض قيود كثيرة عليه، ويظل يعطيه توجيهات وقرارات يمليها عليها... في اعتقاد منه بأنه واحد من ممتلكاته يبيع ويشتري فيه، وكيفما يحلو له!!

هذا تحقيق فيه استماع لكلا الطرفين... نسمع.. لنرى من يحمل المسئولية في وجود جفوة... وهل صارت فعلاً ظاهرة يجب معالجتها!!

تحقيق/أكرم الأسطى

مباشرة نتوجه نحو د.محمد مصطفى- جامعة ذمار والذي يطرح وجهة نظر علمية:

«دعني أتعامل مع مفهومين متشابهين لفظاً ومختلفين في المعنى، وهما مفهوم جفوة -harsh ness ومفهوم «فجوة بين الأجيال» -genvation gap .. الجفوة ليست حقيقة مقررة، فانا لست من مؤيدي مقولة الصراع بين الأجيال.. أما الفجوة فهي موجودة... حتى إننا نجد في طروحات أفلاطون التي كتبها قبل ٢٣قرناً شكوى لاب يبث فيها تبرمه من «تدهور أخلاق الجيل الجديد» وعندما يكبر أبناء ذلك الجيل الجديد سيتبرمون بالمثل من أخلاق الجيل التالي لهم وهكذا... كاننا نعيش حالة أزلية جيلاً بعد جيل وهي حالة طبيعية وبناءة تعكس نزعة التاريخ الإنساني نحو التغيير والتطور هل بالإمكان أن نفترض العكس ونقول إن العلاقة بين أبناء اليوم وآبائهم أفضل من العلاقة بين الطرفين في الماضي؟ هناك دراسات اجتماعية ونفسية تقول نعم، إن جيل الآباء الحالي أسعد حظاً من الجيل الماضي في التعليم والوعي بإدراك حاجات الأبناء وحقوقهم، إن الأبوة وكذلك البنوة- شأن كل شيء آخر- تخضعان للتطور.. آباؤنا لم يكونوا أصدقاء لنا... لأنهم كانوا ينتمون إلى ثقافة أبوية..«بطرياركية هرمية» تجعل الواحد منهم يحتفظ بمسافة بينه وبين أبنائه، ولكن ذلك لم يقلل من مستوى رعايتهم وقيامهم بواجبهم تجاههنا، وعندما أقارن مستوى طاعة الأب عند جيلنا والجيل التالي أجد فارقاً كبيراً.. كنا نطيع آباءنا لدرجة التقديس وأوامر الأب ليست أمراً قابلاً للنقاش.. فما عليك سوى أن تنفذ وبسرعة ولا أستطيع أن أسمي ذلك استبداداً... إنهم يطيعونني، ولكن يجب عليّ أن أكون مقنعاً أولاً للحصول على طاعتهم وأنا راض عن هذه العلاقة معهم وأحاول أن أكون صديقاً لهم، وربما كان لهذا الأسلوب أيضاً مزاياه وعيوبه.. يمكنك أن تضيف الفجوة الثقافية بين جيل الآباء وجيل الأبناء، قم باستطلاع بسيط وسط عينة من المثقفين و المهنيين... ستجد أن أغلبهم ينتمي الى أبوين أميين أوعلى الأقل إلى أم أمية... هذه الظاهرة لم تكن من قبل نصف قرن - مثلاً- بهذا الإتساع، فالآباء والأبناء كانوا في الهم واحد.. الجميع بلاتعليم.. الفارق الثقافي يؤدي الى تباعد نفسي بين الطرفين ولكنه يظل مجرد تباعد ثقافي... لايمكنك أن تقفز مباشرة لتسميه جفوة أو أزمة وجدانية، فالأب أو الأم القابع في الريف معجب جداً بابنه الطالب أو الموظف الموجود بعيداً عنه في المدينة... خاصة إذا كان ناجحاً في دراسته أو عمله... آباء اليوم أعتقد أنهم مشغولون جداً لدرجة تلهيهم عن الإنتباه بدرجة كافية لأبنائهم، وهناك العامل الاقتصادي... أي الركض وراء الكسب، و هذه فجوة أو قل فجوة من الأب تجاه الأبناء... إذاً.. إذا كان لابد من الحديث عن جفوة، فاعتقد أن مجالها هو الإهتمامات فلا الآباء ولا الأبناء في وضع يتيح لهم اللقاء والتفاعل الوجداني المطلوب، هل لاحظت أن التلفزيون يسهم في هذه الفجوة/الجفوة.. هناك عبارة تقول مشهورة- «علموا أولادكم فإنهم خلقوا لزمان غير زمانكم» ولن يضيرنا شيء إذا قرأناها معكوسة «علموا آبائكم»...

نسيان وإهمال

الدكتور/محمد مصطفى - اختصاصي علم النفس يؤكد أن الجفوة بين الأجيال صارت ظاهرة وأنها وجدت في عصرنا الحاضر ولم تكن موجودة في السابق... فهل نستطيع وضع اللوم والمسئولية على أحدهما؟

الأبناء في زمن الضياع والعولمة.. يطلبون الحرية دون فرض معطيات زمن الآباء... الأستاذ/أحمد جابر عفيف-رئيس مجلس إدارة مؤسسة العفيف الثقافية يقول: «..طُرح هذا السؤال كما لو أن الفجوة قد أصبحت ظاهرة شمولية في المجتمع، ولكنه يمكن النظر إلى هذه المسألة ليس بالشكل المعمم.. لأن المسألة تتفاوت بين فئة وأخرى، ومن عائلة الى أخرى، ولاتؤخذ بالطريقة التي طُرح فيها السؤال ونحن نعلم أن فلسفة الأخلاق والمثل ترى العكس تماماً فالتراحم والتآلف بين الآباء والأبناء هو الثابت منطقياً وهي كذلك سيكولوجية المخلوقات، ولربما أن الآباء قد تناسوا أو نقول أهملوا مايجب عليهم أن يقوموا به من دور في الإعتناء بالأبناء من أجل خلق مجتمع سليم نفسياً وفكرياً وأخلاقياً..

حيث يجب على الآباء تشجيع الأبناء فيكونوا أكثر وداً وتقارباً، إننا لو قمنا بعمل استطلاع معين أو دراسة معينة من نوع كم هو الوقت الذي يستغرقه الآباء في الحديث الجدي مع أولادهم لوجدنا أن البعض لايستغرق أكثر من دقيقة يومياً و البعض يتحدثون مع أبنائهم ربما لمدة دقيقتين والقليل منهم على الأرجح لمدة ثلاث دقائق وقد نكون بالغنا في الأمر... إلا أن الأمر ليس وقفاً على الوقت فقط ولكنه أيضاً يشمل نوعية الحديث الذي يقيمه الآباء مع الأبناء- فبعض الآباء يلجأ الى الأجابات السريعة والسخيفة أحياناً أخرى، ناهيك عن نوبات الغضب وتسفيه الكلام- كلام الأبناء- وكل هذا يولد نوعاً من المشاعر السلبية لدى الأبناء وتجعلهم فاقدي الثقة في النفس ويشعرون بالوحدة الدائمة.

مسئولية موزعة

اضمحلال الود وبنسب متفاوتة يرجع الى أن الغالبية العظمى من أبنائنا عاشوا بلا طفولة حقيقية ويشيخون قبل الأوان وعلى وجه الخصوص من هم ضحايا الوضع الراهن المتمثل بغياب فرص العمل والفقر الذي يحرمهم حقهم في التعليم ويلقي بهم مبكراً الى أسواق العمل.. أما المسئولية عن ذلك فهي موزعة بين جهات عدة وعلى رأسها نظام الأسرة والمؤسسة التعليمية والمؤسسات الثقافية والإعلامية وتلك الهوة من التخلف التي نعيش فيها ليس كشعب يمني بك كامة عربية ودور المؤسسة الثقافية والإعلامية مهم..إلا أنه شبه مغيب، حيث تقل الاصدارات المتخصصة بثقافة الطفل، إلا ماندر ومايستحق الذكر هنا هو «الملحق الثقافي الصغير»، ومع أنه كانت توجد مجلات تختص بهذا الشان لامجال لذكرها هنا... إلا أنها تلاشت بسبب إهمال المؤسسة الرسمية وعدم دعمها، ومايجب أن يتم هو أن تحاول هذه المؤسسة تقديم شيء يخدم هذه الشريحة حتى تحيط بمجموعة العلاقات التي ترتبط بالأبناء والآباء من طرف والأبناء والمجتمع من طرف آخر وحتى تخلق لهم علاقة مع أنفسهم وكذا مع من حولهم من المقربين وخاصة الأسرة في إطار من التفاهم والمحبة بعيداً عن الطاعة العمياء.

ويتابع احمد جابر عفيف قائلاً: نحن الآباء لم نقم بدورنا كما يجب أمام الأبناء وفي نفس الوقت لانجزم بالقول أن هناك من لم يحب ابنه فذلك غير منطقي... أو لم يقل الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم ..«المال والبنون زينة الحياة الدنيا»..

إلا أن التقصير يتمثل في عدم إتاحة الفرصة للأبناء في أن يبنوا علاقاتهم فيما بينهم... فنحترم رغباتهم ونفهمهم حدود امكاناتهم فيفخروا بها ويثقوا بانفسهم ولايخجلون إلا من سوء الفعل، وبنفس القدر كيف نمكنهم من خلق علاقة مع الآخر في إطار من الإنفتاح واحترام التجارب والمبادئ حتى ولو كانوا مختلفين عنا... ولا أغفل أهمية ترسيخ مفاهيم سليمة عن العلاقة مع الله الخالق في إطار من الطاعة الواعية المبنية على المحبة لا الخوف... فلأبناء الحق بالفرح والتعليم والتنزه، ولهم الحق في حياة كريمة ضمن أسرة واعية تدعم وتشجع... لاتفسد وكل هذا بدعم من تعاليم الدين الإسلامي وروحه السمحة... ونستطيع القول ...أنه وفي مجتمعنا اليمني بالذات لاتوجد قطيعة مطلقة، ولكن توجد شواذ علينا أخذها بالحسبان ودراستها وتجاوزها وعلى المجتمع أن يؤدي دوره.. الأسرة والمؤسسات التعليمية والثقافية والإعلامية في عملية تكاملية للبناء المجتمعي.

تنشئة وأنماط

● إذاً الأستاذ أحمد جابر عفيف يرى أن الجفوة بين الأجيال ليست ظاهرة.. بقدر ماهي قضية تحتاج لمعالجة ووقفة جماعية من جميع فئات المجتمع وهيئاته ومنظماته في عملية تكاملية.. نجيب الورافي- جامعة ذ مار- يرى أنه «.. يمكن توصيف ظاهرة القطيعة أو الجفوة بين الأبناء والآباء بما يطلق عليه : سوء التكيف«الأبوي- البنوي» لاسيما إذا نفينا حدود عوامل هذه الظاهرة بطرف دون آخر، وسلمنا بشراكة الطرفين في خلق أسبابها وبواعثها، ومن وجهة نظر علم النفس تعد الظاهرة مشكلة نفسية- تربوية معاً، بوصفها إحدى مخرجات العاملين: التربوي.. المتمثل بطبيعة التنشئة الإجتماعية من الميلاد، وما تتطلبه من تقاليد نفسية- تربوية، تذهب بسلوك الأفراد الى «السوية» وتنأى به عن الشذوذ، أما العامل النفسي... فإنه يتعلق بأنماط الشخصية الإنسانية وتفاوت خصائص هذه الأنماط من شخص لآخر.. وأشك بأن إلغاء القطيعة والجفوة مع الأبناء يقاس بمدى النجاح في تربية أبناء يكونون صورة حرفية«فوتوغرافية» لشخصياتنا، بقوالب مصبوبة ومرتبة سلفاً.. إن توهم العصيان من الأبناء وطموحهم الى علاقة مثالية اساسها الإحتذاء المطلق.. قد يساهم في خلق الجفوة،والمغالاة في تطبيق شعار«الدور الأبوي» تصبح عذاباً...

لارحمة، وقسوة.. لاحنان.. إن الدور الأبوي من وجهة نظري ليس رافعة لكرتين من حديد... في أحدهما الأمر وفي الأخرى النهي، بل هو دور توضيحي إيجابي في المقام الأول ...».

ويضيف نجيب الورافي متحدثاً عن الحرية وحدودها في التعامل بين الأجيال قائلاً: «إن الحرية هي الحلقة المفقودة في دائرة الوئام «البنوي- الأبوي» وهي صمام أمان لخلق علاقة تتجاوز القسرية الى الحميمية.. ليس مع الآباء فحسب، بل مع كل المجتمع.. الحرية هي جسر الحوار مع الأبناء، تقرب المسافات وتسهل التعايش مع همومهم و تطلعاتهم.. وبالحرية تستطيع الأسرة خلق جيل يؤمن بقيمها بقدر إيمانه باختياراته، وعند باب الحرية لايتوقع الآباء أي جفوة من أبنائهم في ظل وجود حتميات حضارية كالفضائيات والانترنت والثقافات العالمية والأقراص المضغوطة..»

تفاوت

● هناك من يعتقد بأن الجفوة بين الأجيال ليست ظاهرة مرتبطة بزماننا الحاضر فقط... محمد الغربي عمران - القاص المعروف يقول: «الابن إنسان له أفكاره، ولايعني هذا أن هناك جفوة عامة..أو ظاهرة تخص زماننا دون غيره.. المسألة تتفاوت من أسرة الى أخرى، وماتعنيه في سؤالك أن هناك جفوة أو «ظهور جفوة..الخ» وكأن المسألة برزت فجأة.. أنت تعلم أن هناك آباء علاقتهم مع أبنائهم علاقة مثالية، وعلاقة صداقة حتى مع أصغر الأبناء،والمسألة لاتتجاوز أن بعض الآباء يعتمدون على الكذب في تعاملهم اليومي والقسوة والتسلط... مما ينتج ردة فعل سلبية، إضافة الى أن بعض الآباء يتلفظ على أبنائه بكلمات قاسية وجارحة على الدوام، بل إن بعض الأسر لاتتابع أبنائها في المدارس.. في الشارع.. أين يقضي أوقاته؟ وهناك موضع هام.. وهو فهم المجتمع أن الابن يتبع أباه...وأن الإبن ملك خاص للأب يفعل به مايريد.. وأحمل ولي الأمر كل سلبيات الأبناء، وأنا أعلم بأسر كثيرة أحسنت التربية فلم تظهر تلك الجفوة.. وتظل الحرية حاجة ماسة لكل فرد صغير أم كبير.. تظل الحرية أساس كل علاقة ناجحة فأبني حر في أن يعيش حياته.. حر في اختيار نوع تعليمه، حر في اختيار أصدقاء له، وعلي أن أوجهه بشكل واعٍ، حر في أن يطرح عليّ وعلى العالم مايدور بخلده... حر بكل معنى الكلمة للحرية.. وهنا عندما نطرح فكرة الحرية يتبادر الى الذهن الحرية الجنسية..والحرية لاتعني الجنس فقط، بل تعني كيف ينشأ فرد ذا كرامة واستقلالية وعزة نفس ونبل.. أما الجنس فهي حرية ينبغي أن ندرك أنها تأتي بعد السن ١٨، وعلينا كأولياء أمور أن نرعى قيم الحرية وننميها في أولادنا... ليس بالفرض، ولكن بالصداقة والمحبة والتسامح والعطاء ولانفرض عليهم أفكارنا وقيمنا... فلكل جيل قيمه وأفكاره.. بل نرعاهم ونصادقهم وأن تكون كل علاقاتنا بهم علاقة الصدق والحب والتسامح... لاعلاقة القسوة والفرض و الكذب..»

آباء فاشلون

● عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : «لأن يؤدب الرجل ولده أو أحدكم ولده خير له من أن يتصدق كل يوم بنصف صاع».